JOURNAL of ARCHAEOLOGY & TOURISM

P-ISSN: 2812-6378 ONLINE-ISSN: 2812-6386

Journal Home Page: https://jatmust.journals.ekb.eg/

أوليا چلبي ومؤلفه "سياحتنامه":
قراءة في منهجه في توثيق تراث مدينة أثينا وعمائرها

| Received July 11th 2022 | Accepted October 1st 2022 | Available online February 8th 2023 |
| DOI 10.21608/jatmust.2023.284702 |

أحمد أمين

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية

قسم الآثار الإسلامية

كلية الآثار والإرشاد السياحي

جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا

6 أكتوبر، مصر

ahmed.ameen@must.edu.eg

الملخص

تعتبر أعمال الرحالة على قدر كبير من الأهمية في دراسة عديد من التخصصات بشكل عام، وفي الدراسات التاريخية والأثرية بشكل خاص. قام كثير من الرحالة بتوثيق زياراتهم للآثار الإسلامية حول العالم الإسلامي، ويعد كتاب الرحلات أو سياحتنامه للرحالة التركي الأهم، وأحد أشهر الرحالة المسلمين أوليا چلبي، الأفضل والأكثر فائدة في هذا السياق. لمدة تزيد عن أربعين عامًا (1630–1672) قام أوليا بوصف المدن ومعالمها ضمن مناطق جغرافية شاسعة، وسجلها في مؤلّفه المكون من عشرة كتب والمعروف باسم "سياحتنامه" أي الأسفار أو الرحلات. تتميز كتابات أوليا بالثراء وغزارة المعلومات، وهي عظيمة الفائدة بالرغم من المبالغات أو الأخطاء الشائعة أحيانا. تهدف هذه الورقة البحثية دراسة منهجية أوليا چلبي في توثيق التراث المعماري في أثينا، كنموذج تطبيقي لهذه الدراسة. تعكس كتابات أوليا چلبي قراءاته السابقة وثقافته الدينية والتاريخية، والتي يمكن القول أنها مرآة للثقافة التركية العثمانية لتلك الفترة الزمنية (القرن 11هـ/17م). وتميز أوليا عن سابقيه من الرحالة، في عدم الاقتصار على ذكر النماذج أو الآيات المعمارية، بل عمل دراسة مسحية لكل مدينة يزورها، وتصنيف عمائرها. كما أنه لم يقتصر في زياراته وتوثيقه على الآثار الإسلامية، بل تضمن العمائر غير الإسلامية مثل الكنائس والأديرة والمعابد وغيرها، ثم يقوم بوصف تلك الأعمال المعمارية، بعضها بالتفصيل والبعض الآخر بإيجاز. كان أوليا كذلك يقوم في مواضع كثيرة بالتعليق على أهم الوحدات المعمارية والفنية، والسمات المميزة للعمائر وفقاً لرؤيته، مثل الأسقف، والمئذنة، وأساليب البناء. وفي حالات أخرى قام أوليا چلبي بتسجيل النقوش على الآثار؛ وتجدر الإشارة أنه بذلك حفظ لنا عددًا كبيرًا من النقوش التي اندثرت، وأصبحت معروفة بفضل كتابه. ينتهج أوليا أيضًا تحليل عمارة وعمران المدن؛ فيرصد عدم وجود أنواع محددة من العمائر أو السمات المعمارية في مدينة ما مقارنة بما رآه في البلدان الأخرى. وتنتهي الدراسة بإظهار قيام أوليا بعمل دراسة تحليلية مقارنة للمباني استنادا على ملاحظاته الميدانية لمناطق مختلفة.

الكلمات الدالة:

أوليا چلبي؛ أعمال الرحالة؛ اليونان؛ أثينا العثمانية؛ كنائس أثينا؛ المساجد العثمانية.

JOURNAL of ARCHAEOLOGY & TOURISM

P-ISSN: 2812-6378 ONLINE-ISSN: 2812-6386
Journal Home Page: https://jatmust.journals.ekb.eg/

EVLIYÂ ÇELEBI AND HIS WORK "SEYAHATNAME": A READING IN HIS METHODOLOGY OF DOCUMENTING THE HERITAGE OF ATHENS AND ITS BUILDINGS

| Received July 11th 2022 | Accepted October 1st 2022 | Available online February 8th 2023 |
| DOI 10.21608/jatmust.2023.284702 |

Ahmed Ameen

Professor of Islamic Archaeology
Islamic Archaeology Dep.
Misr University for Science & Technology (MUST)

6th October, Egypt
Ahmed.ameen@must.edu.eg

ABSTRACT

Travelers' works are very useful in many disciplines in general and in historical and archaeological studies in particular. Many travelers documented their visits to the Islamic monuments around the Islamic World. Among them Evliyâ Çelebi is one of the most interesting, and most informative as well. Evliyâ Çelebi, the famous Turkish traveler and one of the most famous Muslim travelers in the world. He travelled far and wide for over forty years (1630-1672), described the cities and the landmarks of vast regions, in a ten-volume travelogue named the Seyahatname "Book of Travels." His text is very rich, and useful, though its exaggerations or inaccurate data sometimes.

The focus of this paper is analyzing Evliyâ's methodology in documenting the archaeological heritage in Athens, as far as this paper concerns. The writings of Evliyâ Çelebi reflect his previous readings and his religious and historical culture, which mirror clearly the Ottoman Turkish culture of that time (11th H/17th century CE). Evliyâ did not only described the masterpieces of architecture or the religious ones, as his predecessors did; but he made a survey for every city he visited, counted its buildings and classified them into categories. Moreover, he visited Islamic and non-Islamic monuments, such as churches, monasteries, temples etc. Then, he described these architectural works, some in detail and other in brief. He frequently commented on the most important architectural, artistic units, and the characteristic features according to him, such as the roofing, the minaret and the construction technique. In other cases, he recorded the inscriptions on the monuments; it is worth noting that with this method, we know a considerable number of nonexistent inscriptions thanks to Evliyâ's book. Evliyâ also analyzes the architecture and urbanism of the city; he monitors the absence of specific types of buildings or architectural features in a city compared to what he saw in other towns. Finally, in Evliyâ's description of the buildings, he evokes his observations in a comparative work that highlights and clarifies his analytical approach.

KEYWORDS:

Evliyâ Çelebi; Travelers' works; Greece; Ottoman Athens; Athens' Churches, Ottoman Mosques.

مقدمة: أعمال الرحالة وأهميتها في دراسة الآثار

تعد أعمال الرحالة، من نصوص ورسوم وصور وغير ذلك، أحد أهم مصادر لكثير من فروع العلم والمعرفة بوجه عام، والدراسات التاريخية والأثرية والسياحية على وجه الخصوص. وتزداد أهميتها بقدر ثرائها في المعلومات خلال الفترات الزمنية التي تندر أو تتباين فيها المصادر التاريخية ذات الصلة. وبالرغم من ضرورة المراجعة الدقيقة لكتابات الرحالة لما تتضمنه في حالات عدة من المبالغات والمغالطات؛ إلا أن ذلك لا يقلل أبدا من أهميتها وقيمة المعلومات التي تتضمنها. ويزيد من أهمية أعمال الرحالة كونها تمثل مرصد لكل ما هو مميز واستثنائي جاذب للانتباه بشكل خاص. وتزداد أهمية وقيمة أعمال الرحالة في تخصص الدراسات الأثرية والسياحية عند توثيقها لآثار أو نقوش أو ظواهر اندثرت أو انطمست، وصارت هي المصدر الوحيد لها.[1]

في هذا السياق تبرز أهمية كتاب الرحلات أو سياحتنامه للرحالة التركي الأشهر وأحد أشهر الرحالة المسلمين أوليا چلبي والذي حفظ لنا بين دفات أجزاءه العشرة كنوز عن عمارة وعمران وثقافة وآثار عديد من المدن والمواقع لم تتوافر لأي عمل مناظر.

أوليا چلبي ومؤلفه سياحتنامه

هو أوليا[2] بن درويش بن محمد ظلي، وُلد في الـ 10 من شهر محرم 1020هـ الموافق 25 مارس 1611م، في حي أونكابان بمدينة اسطنبول، ولا يُعرف تاريخ وفاته علي وجه الدقة، وإن كان أغلب الظن قد تُوفي خلال الثلث الأخير من سنة 1095هـ/1684م؛ عندما زار مصر للمرة الثانية حيث انقطعت أخباره، ولم يُعرف مكان دفنه.

اسمه الحقيقي غير معروف وإنما دعي أوليا (إيڤليا؛ وتكتب أوليا Ewliyā، و Evliyâ بالتركية، و Evliya بالغات الغربية) نسبة لمعلمه أوليا محمد أفندي. وجلبى لقب ومعناه في التركية سيد.[3] والد أوليا هو درويش محمد ظلي، وكان يعمل كبير الصياغ بالقصر السلطاني باستانبول، وتُوفي في جمادي الثاني 1058هـ/1648م عن عمر يناهز 117 عامًا هجريًا. أما عن والدة أوليا فيُذكر أنها من بلاد القوقاز، وأنها أتت إلي اسطنبول في عصر السلطان أحمد الأول 1012–1026هـ/ 1603–1617م، حيث تزوجت بالمُذَهِّب بالقصر السلطاني، ويحدثنا أوليا عن صلة قرابة والدته برجال القصر السلطاني وعلى رأسهم مَلَك أحمد باشا، والدفتردار (بمثابة وزير المالية حاليًا) زاده محمد باشا، وأبشير مصطفي باشا. وذكر أوليا أنه كان له أخ واحد، وأخت واحدة. وتوضح لنا

[1] أمين&موسى، أثينا العثمانية كما رآها الرحالة؛ Ameen, Travelers' Works As An Important Source In Studying Archaeology

[2] عن أوليا چلبي وحياته ورحلته ومؤلفه راجع: Mordtmann, «EWLIYĀ ČELEBI», 717-720.

[3] لقب تشريف، وتعني أيضاً مُؤَدَّب، نبيل، ظريف، انظر: قارصلي، **المعجم الأساسي**، 111. وجدير بالذكر أن چلبي ليس جزءا من اسمه أولقب عائلته؛ وإنما هولقب مثل أفندي و بك، بعض الباحثين في هذا الخطأ ممن لا يعرفون التركية من الغربيين والعرب على السواء.

نشأة إيڤليا الحالة الاقتصادية الميسرة التي نعمت بها أسرته، كما تظهر مدى اتصال أسرته بالقصر السلطاني؛ وهو السياق الذي يسر لأوليا نفسه دخول القصر السلطاني، وعمله به كما سنري.

أنهي أوليا تعليمه الأساسي بالكتَّاب، ثم التحق بعدها ولمدة سبع سنوات بمدرسة شيخ الاسلام حميد أفندي باسطنبول، ثم درس بمدرسة القرآن والحديث لمدة احدى عشر عام حيث تعلم التجويد والترتيل، فضلاً عن تعلمه الحرف اليدوية الدقيقة من والده خاصة التذهيب. ويذكر أوليا كيف كانت ليلة القدر لعام 1045هـ (1636م) نقطة فاصلة في تغيير مسار حياته حيث لفت بترتيله وتجويده المتقن للقرآن نظر السلحدار مَلَك أحمد أغا والذي قدمه بدوره للسلطان مراد الرابع، وأمر الأخير بأن يُعين أوليا بالبلاط السلطاني.

أتاح وجود أوليا بالقصر السلطاني دروسا مكثفة له في الخط، والموسيقي، واللغة العربية (النحو)، والتجويد. وعُين أوليا بعد فترة سباهيا (السباهية هي الخيالة أو سلاح الفرسان بالجيش العثماني) بالباب العالي قبل حملة السلطان مراد الرابع لبغداد 1048هـ/ 1638م.

مؤلف أوليا "سياحتنامه"

لمدة تزيد عن أربعين عاما (سنة 1040هـ/1630م وحتى وفاته سنة 1095هـ/1684م؟) أخذ أوليا يسجل مشاهداته ويصف المدن وتاريخها وآثارها وعمائرها وطبوغرافيتها ... في مؤلّفه المكون من عشرة كتب فيما يعرف باسم "سياحتنامة" وتعني الأسفار أو الرحلات.

اتخذ أوليا من مدينة الإسلام[4] –إسلامبول من أسمائها أيضا بيزنطة، والقسطنطينية، واستانبول، والاستانة وهي مدينة اسطنبول الحالية– نقطة البداية لكتاباته؛ فبدأ جولاته في اسطنبول عام 1040هـ/1630م، وشمل الجزء الأول من مؤلفه وصف مدينة اسطنبول ومبانيها.

وكانت أول رحلة لأوليا خارج اسطنبول عام 1048هـ/ 1638م، أثناء مصاحبته لحملة السلطان مراد الرابع لمدينة بغداد، والتي سجل مشاهداته عنها ضمن الجزء الأول من مؤلفه كذلك. ثم زار مدينة بورصة[5] عام 1050هـ/ 1640م، وصاحب الحملة على مدينة أزوف عام 1051هـ/ 1641م، ثم استقر بعد ذلك ثانية باسطنبول حتى سافر ثانية مصاحبًا الحملة العسكرية على جزيرة كريت عام 1055هـ/ 1645م.

وتضمن الجزء الثاني من مؤلفه وصف أذربيجان وجورجيا. وفي الجزء الثالث ترك أوليا وصفا ثريًا ومفصلًا في كثير من الأحيان، تقريبًا لكافة مدن سوريا وفلسطين وآسيا الصغرى، وبعد رحلته هذه عاد إلى اسطنبول مرة أخرى. ويواصل أوليا رحلاته في كافة مدن ومناطق البلقان بل ومعظم

[4] أطلق عليها هذا الاسم السلطان محمد الفاتح بعد فتحها عام 1453م، لتصبح بدلا من مدينة قسطنطين (أو القسطنطينية) إلى مدينة الإسلام، ومن أسمائها كذلك: دار السعادة، والدار العالية، والباب العالي. انظر: فريد بك، **تاريخ الدولة العليّة**، 164.

[5] أصبحت أول عاصمة للدولة العثمانية بعد أن فتحها أورخان غازي عام 1326م، ولا زالت تحتفظ بالعديد من الآثار العثمانية المبكرة عظيمة الأهمية. انظر: Kuran, «A Spatial Study of Three Ottoman Captials», 114-131.

دول أوربا لتشمل رحلاته بوهيميا، بروسيا، بولندا،السويد، الدانمارك، النمسا، هولندا، دونكيرك (ضمن اقليم نورد شمال فرنسا)، وكذلك زار أوليا كل من مولدافيا، والقرم، والقوقاز، وبحر قزوين ... ونجد ذكر وأوصاف هذه المناطق والبلاد في الجزئين السادس والسابع بصفة خاصة.

الجزء الثامن خصصه أوليا لتسجيل زياراته ووصفه لمدن اليونان، ويعود في نهايته لاسطنبول مرة أخرى ليبدأ رحلة جديدة متجها فيها إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج،[6] ويأخذ طريقا مغايرا هذه المرة ليتمكن من زيارة أماكن جديدة، فيزور جزر بحر ايجة فيصف جزر خيو وسامو، وكوس، ورودس وكلها حاليا تتبع اليونان، وسجل زيارات هذه الأماكن وأوصافها في الجزء التاسع. وجعل أوليا الجزء الأخير من مؤلفه لتسجيل زياراته لمصر والسودان وأثيوبيا.

وهكذا فإن أوليا قدم وصفا لسلسلة من الرحلات الطويلة ضمن الإمبراطورية العثمانية وفي الأراضي المجاورة، التي قام بها –وفقا لروايته– بصفة منفردة أحيانا، أو في مهمة رسمية أحيانا أخرى، وسجل رحلاته ومشاهداته، على نسق كتابات الرحالة مما يعكس أنه كان قد اطلع على كتاباتهم.

ويكفي لتوضيح أهمية مؤلف أوليا "سياحتنامه" المساحات الجغرافية الواسعة والأصقاع البعيدة التي زارها أوليا وتشمل–كما سبق الذكر– تركيا الحالية ودول البلقان (اليونان– ألبانيا– بلغاريا– البوسنة– صربيا– المجر– مقدونيا– أرمينيا)، ومعظم دول أوربا بصفة عامة، وجزر البحر المتوسط وبحر إيجة والأناضول وأسيا الصغرى وبلاد روسيا والقوقاز والعراق وسوريا وفلسطين والحجاز ومصر والسودان والحبشة.

جدير بالذكر مدى أهمية وصف أوليا، وعمق هذا الوصف في كثير من الأحيان ليشمل وصف كل دولة أو قطر مما سبق ذكره توصيف مدنها وطرقها وسكانها ومعالمها وآثارها ومناخها ولهجاتها وعاداتها وطرائفها وغرائبها. فإذا ما ذكر سكان مدينة فيذكر رجالها ونسائها وأطفالها، المسلمون وغير المسلمين، ويذكر هيأتهم ولباسهم وعاداتهم وأخلاقهم ...

مؤلف أوليا "سياحتنامه" واليونان

يعنينا هنا في هذا المقام الكتابين الثامن والتاسع من مؤلف أوليا الضخم؛ وعلى وجه الخصوص الكتاب الثامن والذي تضمن ذكر زياراته لجميع مدن اليونان الحالية تقريبًا، وجزر البحر الأيوني، بينما جاء ذكر جزر بحر إيجه وأكبرها وأهمها جزيرة رودس في الكتاب التاسع. ابتدأ أوليا رحلته للأراضي اليونانية (خريطة 2) من مدينة ديمتوقا (Gr: ذيذيموتيخو Διδυμότειχο) مروراًبفره جك (Gr: فيرس Φερές)، وكوملجنه (Gr: كوموتيني Κομοτηνή)، اسكجه (Gr: كسانثي Ξάνθη)، سيروز (Gr: سيرس Σερρές)، وقواله (Gr: كاڤالا Καβάλα)،وديرامه (Gr: ذراما Δράμα)،

[6] معظم الرحالة الأول خرجوا في الأصل بغرض الحج، أولًا لقضاء الفريضة، واستثمار تلك الرحلة في تسجيل الغريب والطريف مما يشاهدوه.

وسلانيك (Gr: ثيسالونيكي Θεσσαλονίκη)، ڤودينا (Gr: اذيسا Εδεσσα)، ينيجه فردار (تعني: المدينة الجديدة،Gr: يانيتسا Γιαννιτσά)، يني شهر (تعني: المدينة الجديدة،Gr:لاريسا Λάρισα)، يانيه (Gr: يانينا Ιωάννινα)، تريحالا (Gr: تريكالا Τρίκαλα)، فلورينا (Gr: Φλώρινα)، المورة[7] (أوالبيلوبونيز Gr: البلوبونيسوس Πελοπόννησος)، و أتينه (Gr: أثينا Αθήνα)، وجزيرة اقريطش (أو جريت، كريت[8]، Gr: Κρήτη)، فضلا عن بعض الجزر والقرى والمناطق الأخرى. كما ذكر جزر بحر ايجه: صاقيز اداسي (Gr: خيوس Χίος)، وسماديرك (Gr: ساموثراكي Σαμοθράκη)، واستانكوي (Gr: كوس Κως)، وجزيرة رودس (Gr: Ρόδος)، في الكتاب التاسع من مؤلفه.

خريطة (1) الإمبراطورية العثمانية ومراحل اتساعها؛ وهي تمثل غالبية المناطق التي زارها أوليا چلبي عن: سامي المغلوب، أطلس تاريخ الدولة العثمانية

[7] اقليم المورة (أو البيلوبونيز)، ذكرها الجغرافي الإدريسي باسم بلبونس، وهي إقليم في اليونان حاليًا، اشتهرت في التاريخ الحديث وارتبط ذكرها بالدولة المصرية بعد حرب المورة (1821–1827م) والتي قادها ابراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر تحت مظلة الخلافة العثمانية في هذه الفترة. وانتصر ابراهيم باشا في إعادة معظم الأراضي لسلطة الدولة العثمانية مرة أخرى، وكان من نتائج انتصاره في هذه الحرب أن أصبحت جزيرة كريت تابعة لحكم والي مصر محمد علي باشا. لكن حال التدخل الأوربي دون تمام تحقيق نتائج انتصار ابراهيم باشا ، حيث تطور مسار الحرب خاصة بعد معركة نافارين البحرية 1827م.

[8] أكبر الجزر اليونانية وخامس أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط. وشهدت نشأة واحدة من الدول الإسلامية المبكرة في البحر المتوسط حيث أسس بها عمر بن حفص بن شعيب بن عيسى البلوطي المعروف باسم أبي حفص بدايات القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) دولته المستقلة، والتي استمرت لفترة تقترب من القرن ونصف القرن قبل أن يستعيدها البيزنطيون مرة أخرى، وأطلق عليها العرب "إقريطش أو أقريطش"، وتعرف في التاريخ باسم إمارة كريت. وقام العثمانيون بفتح الجزيرة لتعودللحكم الإسلامي ثانية عام 1080هـ (1669م) ليستمر الحكم العثماني لها حتى عام 1913م، لتتبع اليونان منذ ذلك التاريخ.

خريطة لليونان موقع عليها أهم المدن والجزر التي زارها أوليا چلبي

أهمية كتاب أوليا چلبي"سياحتنامه"

رغم وجود بعض المبالغات والمغالطات والأخطاء في كتابات الرحالة أوليا؛ إلا أن هذا – وبشكل مطلق– لا يقلل أبدًا من أهمية مؤلف أوليا بصفة عامة، والجزء الثامن حيث ذكر اليونان بصفة خاصة، حيث استطاع أن يرسم صورة لليونان الحالية في القرن 11هـ/17م بمدنها وجزرها وجبالها ودروبها وخطوط انتقالها وسكانها وآثارها عبر كل العصور (الكلاسيكية والبيزنطية والعثمانية) وبساتينها ومزارعها، ولغاتها ولهجاتها، ومناخها، وخصائص وتوزيع سكانها، وقصص ومواقف كثيرة وعديدة بتفاصيل مثيرة أستطيع أن أقول بدون مبالغة أنه لا يوجد أي مصدر أو مرجع آخر أعطي مسح جغرافي – تاريخي – أثري – لغوى – ديموغرافي ... لليونان في هذه الفترة الزمنية كما فعل أوليا.

مخطوط "سياحتنامه"

هناك عدد محدود جدا من مخطوط سياحتنامه والمكتوب بالخط العثماني (اللغة التركية بالحرف العربي)، فيقتصر وجود العمل كاملا (10 مجلدات أو كتب أو أجزاء) على ثلاث نسخ محفوظة في اسطنبول: مجموعة برتو باشا، الأرقام 458–462؛ طوب قابي سراي، قسم بغداد، الأرقام 300–304؛ بشير آغا، الأرقام 448–452 (نسخة من مخطوطة سنة 1745/1158م). كما يوجد أيضا عدد من الأجزاء الموزعة للمخطوط أهمها في طوب قابي سراي باسطنبول (قسم بغداد) الأرقام 304 (المجلدان 1 و 2)، و 305 (المجلدان 3 و 4)، و306 (المجلد 9)، و 307،

و308 (المجلدات 6، 7، 8، و 9). جدير بالذكر أننا اعتمدنا هنا في هذه الدراسة من المجلد الثامن للمخطوط على نسخة قسم "كشك" بغداد رقم 308.[9]

المخطوط

مكتوب بخط اليد بخط رقعة، بمداد أسود على ورق أصفر فاتح. اتجاه الكتابة من اليمين للشمال الصفحات مرقمة بالأرقام الهندية (١ ، ٢ ، ٣) أعلى يسار الصفحة، وتبعا لهذه الأرقام فإن كل صفحة مقسمة لاثنتين (a & b)، ويبدأ الكتاب الثامن من المخطوط بصفحة [189]، ويبدأ النص الخاص بمدينة أثينا صفحة [251]، وسنقوم بتقسيمها الصفحة الأولى على اليمين [251a] والصفحة على اليسار [251b].

تتكون الصفحة من متوسط 33 سطر، وتنتهي الصفحة اليمنى بالكلمة الأولى في الصفحة التالية على اليسار. توجد مساحات بيضاء فارغة ضمن النص تعبر عن كلمات أو تتسع لتعبر عن فقرات كاملة، دالة على الأماكن التي تركها إيڤليا رغبة في استكمالها فيما بعد، وتوجد احيانا أيضا كتابات بالهامش مكتوبة باكثر من طريقة إما في نفس اتجاه النص الأصلي (من اليمين لليسار) أو عمودية عليه، وهي تمثل كتابات شارحة او تعليقات مزيدة لاحقة على النص أضافها إيڤليا عند مراجعته النص أو عند استكماله. وسنشير في الترجمة عند بداية كل صفحة بالمخطوط بهذا النمط من الترقيم [251a]، وفي الحواشي والمراجع سيختصر: Evliyâ # 1.

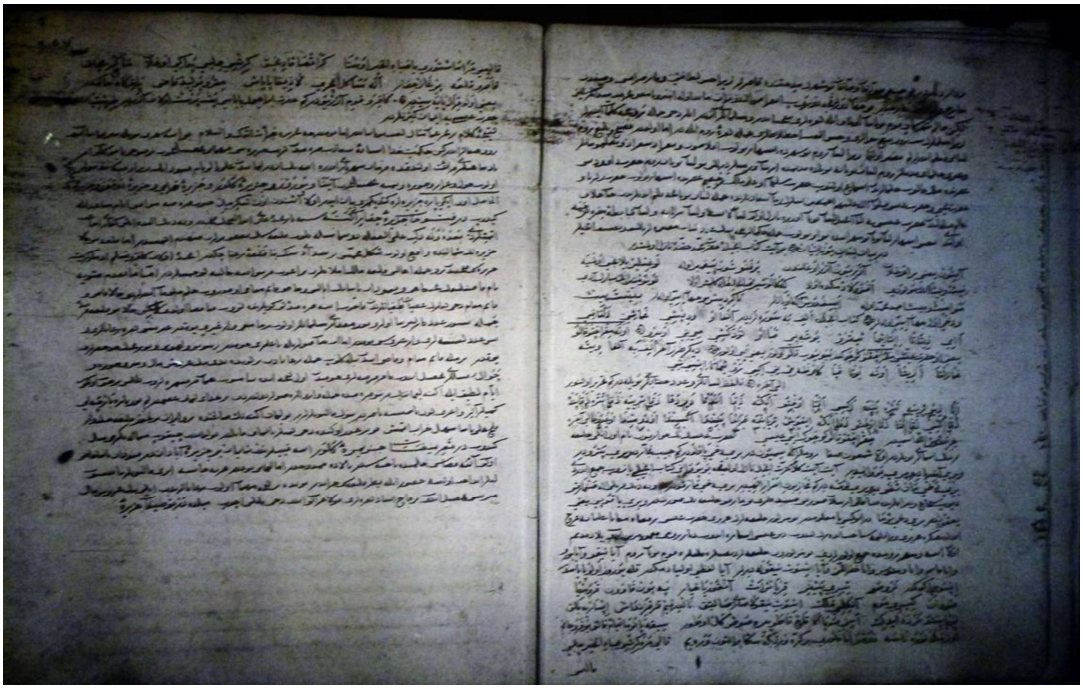

لوحة توضح ورقة من مخطوط ايڤليا چلبي، سياحتنامه، نسخة قسم "كشك" بغداد رقم 308، المجلد الثامن

[9] Evliyâ # 1.

النسخ المطبوعة لمخطوط أوليا "سياحتنامه"

لا يتسع المقام هنا لتفنيد النسخ المطبوعة لمؤلف أوليا، ولكن سأشير باختصار اليها بما تقتضيه الضرورة. فقد بدأت النسخ المطبوعة عبر طباعة مقتطفات من المخطوط تحت عنوان "منتخبات أوليا چلبي" صدر منها أجزاء طباعة اسطنبول (150 صفحة سنة 1258ه، و143 صفحة سنة 1262ه) وأخرى طبع مطبعة بولاق بمصر (140 صفحة سنة 1264ه). ثم طبعت الأجزاء الستة الأولى (مطبعة إقدام باسطنبول، 1314–1318ه) تحرير أحمد جودت ونجيب عاصم، لكن للأسف هذه الطبعة فقدت أهميتها بسبب المحذوفات الكثيرة بها، فضلا عن سوء الطباعة. وطبع المجلدان السابع والثامن[10] (اسطنبول 1928م) ضمن مجموعة التاريخ التركي، مع بعض المخطوطات الأخرى، وحققها كيليسلي رفعت بلكة. وأصدرت مطبعة مكتبة الدولة المجلد العاشر (اسطنبول سنة 1935م).

هذه الطبعات كانت كما المخطوط بالخط العثماني ثم قامت وزارة الثقافة التركية بطبع مؤلف أوليا بالكتابة الرسمية التركية الحديثة.

وتمثل الطبعة الأخيرة والكاملة لمؤلف أوليا "سياحتنامه" الصادرة باللغة التركية (1999–2007م) الأفضل وتنسخ كل ما سبقها، ترجمة وتصنيف Seyit Ali Kahraman و Yücel Dağlı، واختص الجزء الخامس بمشاركة İbrahim Sezgin في الترجمة، بينما اختصت الأجزاء السابع والثامن والتاسع بمشاركة الباحث الشهير Robert Dankoff صاحب المؤلفات الجادة عن أوليا وعمله. وهذه النسخة[11] هي أفضل وأدق ما طبع عن مخطوط سياحتنامه لمؤلفه أوليا.

وحرصا على مزيد من الفائدة وتسهيلاً للقارئ المتخصص لمن أراد أن يعود سواء إلي المخطوط أو إلى طبعة 1928 (بالخط العثماني على غرار المخطوط) والتي سنشير إليها بالترجمة بنمط ترقيم (249)، وفي الحواشي والمراجع ستختصر: Evliyâ # 2 ، أو نسخة 2003م (باللغة التركية الحديثة) والتي سنشير إليها بالترجمة بنمط ترقيم ﴿178﴾، وفي الحواشي والمراجع ستختصر: Evliyâ # 3 .

الترجمات اليونانية[12]

وحيث أن النص المترجم يختص بمدينة أثينا ؛ فقد حظي النص ذاته بترجمات يونانية متعددة. أقدم ترجمة يونانية هي لـ ذ. جورجوغلو[13] والمنشورة بدورية Ελληνικά العدد (4) سنة

[10] Evliyâ # 2.

[11] Evliyâ # 3.

[12] للأسف نجد المكتبة العربية فقيرة للغاية في هذا الصدد، فباستثناء الترجمة العربية للجزء العاشر، والصادرة في مجلدين تحت عنوان : الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة، تصنيف الرحالة العثماني أوليا چلبي (إشراف وتقديم: محمد حرب) وصدرت لاحقًا ترجمة مماثلة للجزء نفسه عن مصر، أصدرها المركز القومي للترجمة في ثلاثة أجزاء. أما الترجمة العربية المبتسرة لما يخص مصر من الجزء العاشر (اصدار دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة 2009م) فهي فقيرة للغاية وبها أخطاء. ولا زالت المكتبة العربية بحاجة ماسة إلى نسخة علمية من كتاب السياحتنامة باللغة العربية.

[13] Τζώρτζογλου, «Τα περί Αθηνών κεφάλαια του Εβλιά Τσελεμπή».

1931، وهي ترجمة رديئة للغاية بحيث يصعب الوصول للمعنى المقصود منها. والترجمة الثانية والهامة لكوستاس بيريس منشورة كمقال[14] سنة 1957، وأعيد نشرها ككتيب[15] مستقل سنة 1959م مع التعليق عليها، وهذه الترجمة (سيتم الإشارة إليها بنمط ترقيم /25/، وفي الحواشي والمراجع ستختصر: Evliyâ # 4) هي التي تعتمد عليها كل الدراسات اليونانية – باختلاف انواعها أدبية، وتاريخية، وديموغرافية، وأثرية ... – تقريبًا المرتكزة على عمل أوليا عن أثينا.

وهناك ترجمة أخرى ضمن ترجمة لكامل الجزء الذي يخص اليونان باستثناء كريت من الكتاب الثامن لأوليا نشرها نيقوس خيلاذاكيس[16]سنة 1991م، وهي –بعد مراجعتها– معتمدة بصورة كبيرة على ترجمة بيريس سالفة الذكر مع بعض الاختلافات مثل ترجمة أجزاء أغفلتها أو صياغة أفضل لبعض الفقرات أو التعابير (سيتم الإشارة إليها بنمط ترقيم <78>، وفي الحواشي والمراجع ستختصر: Evliyâ # 5).

من الملاحظ في الترجمات اليونانية إغفال الأجزاء التي كتبها إيڤليا بخصوص العقيدة خاصة تلك التي حول المسيح عليه السلام؛ وهذا الاغفال ربما عن عمد؛ ولعل من أسبابه الرغبة في عدم الخوض في هذه الأمور، أو عدم تناول صورة المسيح في الإسلام، مع الأخذ بعين الاعتبار السياق الثقافي لتلك العقود من العداء الشديد للأتراك وبالتبعية لكل ما يتصل بهم. حيث يمكن فهم وتفسير ذلك النهج من قبل المترجم اليوناني بشكل أفضل في سياق العداء المتوارث لدى اليونانيين فيما يخص كل ما هو تركي، والذي كان في أوجه فترة الترجمة 1959، ولازال حتى الآن لكن بصورة أخف حدة بكثير عن ذي قبل–، وجدير بالذكر أن هذا الخلط بين الإسلام وجنس الترك قائم لدى اليونانيين، بمعنى أنهم يرون أن الإسلام يعني تركيا والعكس صحيح، وإن اختلف الأمر بعض الشيء مع الأجيال الجديدة في العقدين الأخيرين.

منهجية أوليا چلبي

تعكس كتابات أوليا چلبي قراءاته السابقة وثقافته الدينية والتاريخية، والتي يمكن القول أنها مرآة للثقافة التركية العثمانية لهذه الفترة الزمنية (القرن 11هـ/17م). لم يترك أوليا فرصة إلا واستغلها لاستعراض معلوماته وثقافته التاريخية والدينية، وهو في كثير من الأحوال يعيد توظيف القصص والسير والأحداث، ويسقطها على مشاهداته وكثيرا ما يرويها وكأنه مصدر الرواية وكأنها لم تحدث من قبل.

وثمة لبس واضح عند أوليا بين المعلومات والقصص التاريخي من جهة وبين الأساطير الإغريقية والحكايات الشعبية من جهة ثانية؛ ويتضح هذا اللبس واللغط عند ذكره نشأة المدن وبنائها

[14] Μπίρη, «Τα Αττικά του Εβλιά Τσελεμπί».
[15] Evliyâ # 4.
[16] Evliyâ # 5.

وأسماءها والمباني الأثرية خاصة الكلاسيكية منها. ويبدو أحيانًا أنه كان يفعل ذلك عن عمد لإضفاء قصة دينية مقبولة للهوية الإسلامية عوضًا عن القصص "الوثنية". وتعد قصة بناء مدينة سلانيك (ثيسالونيكي)، ومدينة أثينا ومعبد البارثنون بها والتي أوردهما أوليا نماذج شارحة في هذا السياق؛ حيث ربط بناءها بسيدنا سليمان معتمدا على معجزته من تسخير الجن وعملهم له وملكه العظيم، وأدخل بلقيس في تلك المرويات في غير محلها وموضعها، وكأنه يستبدل شخصيات الأساطير الإغريقية بأخرى من نسج خياله لكن بخلفية دينية قرآنية بحسب فهم أوليا نفسه.

وتفسير ذلك أن أوليا كان يستمع من اليونانيين –كما ذكر هو بنفسه ذلك في أكثر من موضع– عن قصة المدينة ونشأتها (الأساطير)، ثم يعيد صياغتها هو وفق رؤيته وثقافته ليلبسها ثوبا بعيدا عن "الوثنية" وقصصها وقريبا من الثقافة الاسلامية بحسب فهمه ورؤيته.

تظهر ثقافة أوليا الدينية جلية في مواضع كثيرة سواء في استشهاده بالآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة ومواقف من السيرة النبوية. ولكن من أكثر تجلياته العبقرية في هذا السياق استخدامه في الوصف المعماري الأثري لمسجد البارثنون بأثينا بأسلوب مبتكر لم يضاهيه فيه أحد فيذكر أوليا ضمن وصفه لجامع البارثنون وعمارته وزخارفه:

> *"وتعلو الأعمدة التى هي ناحية القبلة قبة ضخمة من خشب العود الهندي بهيئة مظلة ضخمة، القبة مزينة بزخارف مذهبة حتى أن من ينظر اليها يكاد يذهب عقله. وُيذكر أن أفلاطون المثالي (الإلهي) كان يعلق أسفل هذه القبة الخشبية* /مخطوط 253/ *مصباح مضيئ. وقد وضع على الجدار الشرقي كسوة رخامية شديدة البريق واللمعان،* ***والتي تتوهج احمرارا عند سقوط أشعة الشمس عليها، فتشتعل القناديل التي كانت بداخل الجامع من تلقاء نفسها، حيث أن أفتلة القناديل كانت مشبعة بالنفط، وكان خارج الجامع يضاء كذلك.كل الكفار كانوا يحترمونه كطلسم سحري وكانوا يعتقدون أنها مصابيح الهية."***

ويتضح هنا قصة أفلاطون ومصباحه المضئ التي سمعها أوليا، وكيف أن أوليا استحضر آية النور: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.﴾[17] ويظهر هنا كيف استقى أوليا المعنى من الآية الكريمة بأن القناديل تضيئ دون أن تلمسها النار، وكيف أن هذه آية يهدي الله بها من يشاء؛ فيحترمها غير المسلمين "الكافرون" ويقدسونها ويعتقدون أنها مصابيح الهية.

[17] قرآن كريم، سورة النور:35.

منهجية أوليا وأهميتها في الدراسات الأثرية والمعمارية

اقتصرت أعمال الرحالة قبل أوليا مثل ابن فضلان (القرن الثالث الهجري/9م)، وناصر خسرو الشاعر الفارسي (القرن الخامس الهجري/11م)، وابن جبير (القرن السادس الهجري/12م)، والبغدادي (القرن 6-7 الهجري/12-13م)، وابن بطوطة (القرن الثامن الهجري/ 14م) على تسجيل الأثار المقدسة والتاريخية كالحرمين الشريفين والمسجد الأقصى، وقبة الصخرة، والجامع الأموي بدمشق، وإن عرج بعضهم لذكر الأحياء والبيوت والطرقات؛ إلا أنه لا يوجد –على حد علمي– عمل رحالة يوازي أو يضارع مؤلف أوليا في هذا السياق. فقد تجاوز أوليا الاقتصار على ذكر النماذج أو الآيات المعمارية ليكون أقرب لعمل دراسة مسحية لكل مدينة يزورها فيذكر معالمها سواء كانت قديمة "وثنية" أو مسيحية أو إسلامية، فيقوم بعمل جرد لكافة العمائر بالمدينة باختلاف أنواعها: جوامع ومساجد ومدارس وكتاتيب ومنشآت رعاية اجتماعية كالمطعم الخيري (عمارت؛ دار إطعام الفقراء مجانا دون النظر لدينهم أو عرقهم) والأسبلة والجشم والمنشآت التجارية سواء ما كان منها على الطرق أي الخانات أو داخل المدن كالباذستان ، وكذلك الحمامات.

ثم يصف ما يتسير له منها فتارة نجد وصف تفصيلي يضارع الوصف الآثاري الحديث كما في وصفه لجامع البارثنون بأثينا، وأحيانا يكون مقتضبا قاصرا على أهم العناصر أو الخصائص المميزة له مثل طريقة التسقيف أو المئذنة أو تقنية البناء أو المساحة وأحيانا يسجل النقوش والكتابات على الآثار؛ وجدير بالذكر أنه بهذا المنهج حفظ لنا قدر من النصوص غاية في الأهمية والقيمة التاريخية والأثرية والتي اندثرت ولم تعد موجودة الآن.

ودراسة أوليا المسحية لم تكن قاصرة على الجرد بل تجاوزته للتصنيف فيذكر عن كنائس أثينا :***"يبلغ عدد الكنائس في مجملها 300 كنيسة موزعة بين كنائس صغيرة وأخرى كبيرة."***

لا يكتفى أوليا بتسجيل ما يراه، بل يرصد غياب أنواع من العمائر أو السمات المعمارية في مدينة ما مقارنة بما رآه واعتاده في غيرها من المدن؛ فيسجل عدم وجود إما كيان معماري كامل أو عنصر أو ظاهرة معمارية؛ فرومن أمثلة ذلك رصده في وصفه لمدينة أثينا وعمائرها غياب القباب المغطاة بالرصاص، وانتشار التغطية بالقرميد بدلا منها، وعدم وجود باذستان[18] وإن تضمنت –بحسب وصفه– سوق جيد.

ويمثل ذكر أوليا لبيوت أثينا دراسة تحليلية مبنية على المعاينة الميدانية أكثر منها وصفية، فيذكر أن بيوت أثينا:

" ... في مجملها تبلغ 7000 بيتا، وهي مغطاة بالقرميد، مشيدة كالقصور، كما أنها عبارة عن مبان ضخمة، متينة البناء فهي مبنية بالكامل من الحجر، ولا يوجد اطلاقا بيوت

[18] أصبح الباذستان أو البزّستان كمنشأة تجارية سمة مميزة للمدن العثمانية خاصة الكبرى ذات الشأن في التجارة منها؛ حتى أن أوليا جلبي كاد أن يصنف المدن العثمانية إلى مدن بها بزّستان وأخرى بدون بزّستان، عن البزستانات في اليونان أنظر: Ameen, The Ottoman bedestens in Greece.

مسقوفة بالطين، أو بالطوب اللبن مع الخشب. كل البيوت مبنية بالخراساني والجير وحوائطها حجرية، وهي منازل متينة البناء، حيث يمكننا القول أنها منازل رائعة. وفي كل منزل يوجد صهريج للماء، حيث تتجمع به كل مياه الأمطار الساقطة على السطح عبر مجارير. وفي المجمل يمكن القول أنها غاية في الأهمية، حيث أنها متينة البناء، جميلة، مزخرفة، فسيحة، ومعظم هذه البيوت تحتوى على حديقة تحوي أشجار."

ويؤكد أوليا على أهمية الدراسة الميدانية والرؤية بالعين فيذكر أوليا عقب ذكره لآثار أثينا:

" ... مهما يكتب أي شخص عن هذه الأعمال الفنية فلن يوفيها حقها. وبدون تشكيل حالة معرفية عن قرب عن مدينة اثينا فلن يدرك المرء ماهيتها في العصور القديمة، حيث يجب أن يتكون عنده إدراك حقيقي–بحسب كلمات إيڤليا علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين–، وهو الأمر الذي لا يتحقق فقط بالقراءة أو الاستماع، ولكن عبر الرؤية والمعاينة وليس الخبر كالعيان."

الدراسة التحليلية عند أوليا چلبي

بعد الاحصاء والرصد والملاحظة الدقيقة (الدراسة الميدانية) يعتمد أوليا على عاملين رئيسيين في دراسته التحليلية وهما: قراءاته الكثيرة، ومجموع زياراته لبقاع كثيرة من العالم –حيث كان لديه كم هائل من الزيارات والمشاهدات والتي كان قد سجلها قبل زيارته لأثينا– فيذكر أوليا في إشارة لروائع أثينا المعمارية والفنية :

"... فأنا العبد الحقير المقصر منذ عام ألف وخمسين (هجري) قد تعبت من القراءة عن أقاليم الدنيا السبعة، ولقد سحت في العالم، ولكنى لم أرى في أي إقليم مثل هذه التحف الفنية الموجودة في أثينا ... "

واستخدم أوليا ثروته المعرفية الجيدة والتي اكتسبها عبر القراءة والمشاهدة –كما سبق الذكر– ببراعة في مقارناته التحليلية كلما وجد فرصة لذلك، فيصف مدينة أثينا مقارنًا إياها بغيرها من المدن فيقول:

" ... وتشبه مدينة أثينا في ماؤها وهوائها ومناخها وجوها العام مدن معرة النعمان وحلب الشهباء، وفيما يخص المباني لا يوجد ما يضاهيها في العالم، وإن كان لابد فلا يضارعها سوى أبنية دمشق وحلب وأورشليم، أو تلك المباني النموذجية في قاهرة مصر ... "

وعند ذكر بعض أوجه المقارنة الأخرى مثل تخطيط المدينة وطرقها ونظام رصفها يذكر أن أثينا تشبه مالطة في هذا الصدد.

"... كل الطرق نظيفة، ذات أرضية رملية. لا يوجد في هذه المدينة على الإطلاق طريق مرصوف بالحجر، إذ أنه لا يوجد وحل، ... وهذه المدينة تقريبا تماثل مدينة مالطا .. ""

وفي وصفه للأبنية يستحضر رصيده من المشاهدات في عمل مقارنة تبرز فكرته وتوضحها فيذكر أوليا عند وصفه أبواب وأعمدة جامع البارثنون:

"... كل الأبواب كانت مزخرفة بأشكال الأهلة منفذة بألوان جذابة وبأحجار كريمة بيضاء وسوداء وحمراء وغيرها. كان يظهر في عين الانسان جامع مزخرف بأحجار كريمة، والتى كانوا يطلقون عليها عين الحره وعين الهره وعين السمك، وهو مثل جامع جامع القدس الشريف ومسجد قبة الصخرة في أورشليم. ومختصر القول إنها معجزة سماوية. تلك الأعمدة الحمراء والخضراء التى توجد بهذا الجامع لا يوجد لها نظير على وجه الأرض اللهم إلا إذا كانت توجد في أجيا صوفيا بالقسطنطينية أو في جامع السليمانية ... ""

وتتسم كتابات أوليا بالدقة إلى حد بعيد في الوصف والتسجيل، ويبدو أنه كان يترك مساحات بيضاء عند حاجته لمراجعة ما يريد أن يكتبه حال نسيانه أو عدم التأكد منه أو عدم معرفته بالمعلومة كالأسماء وغيرها ، ليعود ويكتبها فيما بعد وبعض هذه الفراغات لم تستكمل وتركت كما هي خالية لتدل على منهج أوليا، ويمثل ذكر وشرح أوليا لاسم مدينة أثينا نموذجا لهذا النهج حيث كتب:

" هي باللسان الرومي أثينا (آثِه)، ومخرج حرف الثاء يُلفظ بصوت يشبه حرف ما بين حرف التاء وحرف السين –حرف وصوت الثاء موجود في اللغة العربية واليونانية، ولكنه غير موجود في التركية، ولذا يحاول أوليا شرحه بهذه الكيفية–، ***وهي تعني (...). ويطلق عليها اللاتينون (...) والفرنسيون (...) بينما الإيطاليون يسمونها (...)، وبلغة (...). وعلى حد قول جميع المؤرخين النصارى*** **(أتباع الملة المسيحية)** ***والمؤرخين القبط الأدارسة أن المدينة قد أسسها حضرت*** **[سيدنا]** ***سليمان الحكيم عليه السلام."***

ويسجل أوليا كافة اللغات واللهجات التي تقابله ليصبح مُؤَلف أوليا أول وأقدم قاموس جامع في هذا السياق؛ ففي أثينا يسجل الأبجدية اليونانية، والأرقام، ومفردات من الحياة اليومية وتعابير أخرى وبعض الجمل والمحادثات القصيرة شائعة الاستخدام.

كان أوليا لا يجد حرجا في زيارة الأديرة –على عكس ابن بطوطة والذي كان على أعتاب آيا صوفيا باسطنبول لكن لم يدخلها، ولو فعل لكان أقدم وصف عربي لدرة العمارة البيزنطية– فيذكر أوليا الأديرة والحياة بها وعدد الرهبان وكيفية عبادتهم ومنتجات هذه الأديرة وما تشتهر به.

لم يُفَوِّتْ أوليا الفرصة ليرصد نبذ المجتمع خاصة النصارى لليهود فيسجل عند وصفه لدير "كريو كيفالي" (دير كيسارياني حاليا وهو للروم السوريان):

" ... يوجد في كنيسة الدير عدد يزيد عن 300 راهب وشماس (منشد ترانيم)، وهم يخضعون لسلطة البطريركية. ويقوم هؤلاء بخدمة وضيافة وإطعام جميع خلق الله فيما عدا اليهود، ..."

وفي موضع آخر يذكر أوليا عن دير بنديلي:

" ... هذا الدير الآن يحوى 500 راهب. ويأتى حجاج إلى هذا الدير من جميع البلاد خاصة من أعماق بلاد الفرنجة. فإذا ما أتاهم ألف زائر فإنهم يستقبلونهم ويكرمون ضيافتهم. ولكن الغريب إنه إذا ما أتى إلى هناك يهودي، فإنه يُعثر عليه ميتا ومحروقا عن آخره ..."

أثينا وقت زيارة أوليا چلبي والآثار العثمانية الباقية

لم يكن الفتح العثماني لمدينة أثينا هو التواجد الأول للمسلمين كسلطة حاكمة بهذه المدينة العريقة؛ حيث كانت هناك حملة عربية سريعة على أثينا نهاية القرن 3هـ/9م (تحديدا في عام 283هـ/896م)، واحتلت أثينا لفترة قصيرة، ورغم قصر هذه الفترة إلا أنها تركت بعض الآثار.[19]

جدير بالذكر أن العثمانيين لم يأخذوا أثينا –وكذلك كل الأراضي اليونانية تقريبًا– من اليونانيين أو الروم الأرثوذوكس بل كان يحتلها اللاتين (أو الفرنجة) الكاثوليك قبل العثمانيين. فقد كانت أثينا قبل الفتح العثماني محتلة من قبل الدولة اللاتينية (الإيطالية) منذ عام 1205م، كواحدة من نتائج الحملة الصليبية الرابعة على الدولة البيزنطية، والتي كان احتلال القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية نفسها عام 1204م للمرة الأولى واحدة من نتائجها كذلك. وتأسست دوقية أثينا عام 1205م، وكانت تضم أثينا والأراضي المحيطة بها وأهمها مدينة طيبة (ثيفا Θήβα)، ومركزها مدينة أثينا.

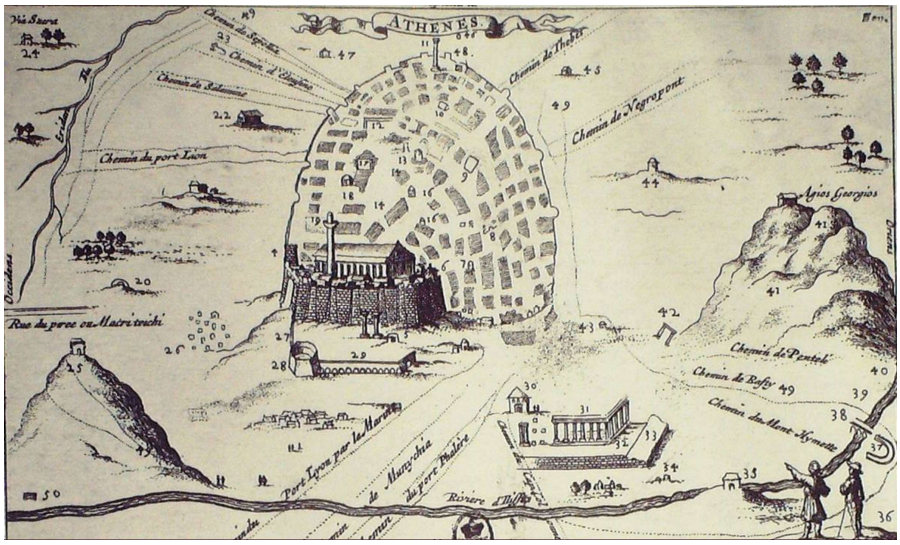

خريطة لمدينة أثينا 1675–1676م (عن: Spon)، بعد بضع سنوات فقط من رحلة أوليا چلبي

وتجدر الإشارة إلى أن سياسة الدولة العثمانية الحكيمة في التعامل مع اليونانيين في فتراتها الأولى، وحرية العقيدة التي كفلوها لهم وحفاظهم على كنائسهم وممتلكاتهم جعلت اليونانيين يفضلونهم على اللاتين الذين صادروا كنائسهم وفرضوا المذهب الكاثوليكي عليهم، واستباحوا ثرواتهم؛ فكان العثمانيون بالنسبة لليونانيين المنقذ من هذا الوضع شديد السوء، حيث احترم العثمانيون رجال الدين المسيحيين وردوا إليهم جميع ممتلكات الكنيسة وأعطوهم السلطة الروحية والسياسية على المسيحيين بالبلاد. كما استعان العثمانيون بأهل البلاد الذين أسلموا في إداراتها وأوكلوا إليهم أعلى المناصب العسكرية والإدارية فكان ذلك عونا لهم.

ظلت أثينا دوقية لاتينية في الفترة من عام 1205 وحتى عام 1456م، حين فتحها عمر ابن طوخان قائد الجيش العثماني عام 1456م. وظلت أثينا تابعة للحكم العثماني حتى سنة 1830م، ولم يكن يصارع

[19]– عن تاريخ هذه الحملة وآثارها راجع:
Καμπούρογλου, Ηάλωσις των Αθηνών; Soteriou, "Arabic remains in Athens" ; Setton, "On the raids of the Moslems in the Aegean, 311-9.

العثمانيين على الأراضي اليونانية حتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي غير البنادقة الطليان. حيث تمكن البنادقة من احتلال أثينا لمدة عام واحد 1687–1688م تخلل الحكم العثماني للمدينة.

فتح العثمانيون أثينا عام 1456م –كما سبق الذكر– فبعد الهجوم مرات عديدة على حصن مدينة أثينا (الأكروبوليس) دون جدوى، وهو حصن منيع كما سنرى في وصف إيڤليا له بالتفصيل، قرر عمر ابن طوخان قائد الجيش العثماني حصار الحصن. وفي يونيو 1456م تم عمل اتفاقية مع الفرنج تم بمقتضاها تسليم حصن أثينا للعثمانيين مقابل أن يقيم الدوق وأسرته بطيبة متمتعاً بمزاياه ومحتفظاً بجميع ممتلكاته. وهكذا تم للعثمانيين فتح مدينة أثينا وحصنها.

خريطة مدينة أثينا 1687م (عن: Captain Verneda)، توضح جامع البارثنون وأثينا كما وصفها أوليا چلبي

وكان الفرنج فترة احتلالهم أثينا قاموا بتحويل معبد البارثنون بالأكربوليس إلى كنيسة كاثوليكية، وعندما أخذها العثمانيون قاموا بتحويلها إلى جامع مع اجراء بعض التعديلات وإضافة محراب ومنبر ومئذنة، وهذا هو الجامع الذي وصفه إيڤليا كما سنرى بالتفصيل وأبدى اعجابه وانبهاره به بصورة كبيرة.

بعد فتح مدينة أثينا بعامين زارها السلطان محمد الفاتح بنفسه في سبتمبر 1458م، وزار الأكروبوليس (الحصن والمعبد والآثار الكلاسيكية الأخرى به) وأعجب بهذه الآثار إعجابا شديدا، وأثنى عليها، وعلى مدينة أثينا مدينة الحكماء، وأعطى أثينا أوقافًا وامتيازات من السلطان.

وعن الحياة بمدينة أثينا العثمانية وأهلها وعاداتهم ولباسهم وغير ذلك سيعطينا أوليا صورة طيبة عن هذه الفترة قبل هجوم البنادقة على المدينة والذي جاءبعد زيارة أوليا بسنوات قليلة؛ لتصبح رحلة أوليا مصدر رئيسي عن هذه الفترة حيث حفظت لنا وصف المدينة وآثارها قبل تدمير البنادقة لبعضها وبصفة خاصة معبد البارثنون والجامع العثماني الأول به.

في خريف عام 1687م حاصر البنادقة بقيادة فرانشيسكو موروسيني أثينا واستولوا على حصن

الأكروبوليس، وقاموا بتحويل اثنان من الجوامع لكنائس واحدة كاثوليكية وأخرى بروتستانتية، والجوامع الأخرى استخدموها كمخازن. ونتيجة لتخزينهم البارود في معبد البارثنون حدث انفجار مروع دمر البارثنون بصورة كبيرة في 26 سبتمبر 1687م. ورحل البنادقة عن المدينة في 9 ابريل 1688م، ودخل العثمانيون المدينة مرة ثانية لتبدأ الفترة الثانية من الحكم العثماني لأثينا. وثمة أعمال معمارية هامة نفذها العثمانيون في هذه الفترة يأتي في مقدمتها بناء سور جديد للمدينة يحيطها بعد حدوث توسعات عمرانية بها في هذه الحقبة أقامه الوالي العثماني على خاصكي عام 1777م، ولازالت أجزاء من هذا السور باقية حتى الآن.

ظل العثمانيون والمسلمون من اليونانيين بمدينة أثينا حتى تم تحريرها من قبل اليونانيين واستقلالها بصفة نهائية سنة 1830م، ومنذ سنة 1834م أصبحت أثينا عاصمة الدولة اليونانية.

حتى أعوام قليلة بعد استقلال أثينا سنة 1830م كان يوجد بأثينا من الآثار العثمانية ثمانية جوامع (مساجد جامعة) تقام فيها صلوات الجمع، وترتفع مآذنها شاهقة في السماء، سجلتها وحفظت أسماءها المصادر والمراجع وكتابات الرحالة، ووثقتها رسوم الرحالة، وعددا أكبر من ذلك بطبيعة الحال من المساجد الصغيرة للصلوات الخمس اليومية، ومدرستان للتعليم العالي، وعددا من الكتاتيب، وخان، وأربعة حمامات سوق للرجال والنساء، فضلا عن أعمال التحصينات من أسوار وأبراج، والنوافير وعدد كبير من السقايات أو الجشم لتسبيل سقاية الماء للناس، بالإضافة إلى العمائر السكنية وغير ذلك من الأبنية الخدمية والنفعية ...[20]

للأسف الشديد لم يتبق من كل ما سبق سوي مسجدين جامعين قائمين بحالة جيدة، مهدمة مآذنهما بطبيعة الحال. الجامع الأقدم هو جامع الفاتح (أو الفاتحية)[21] يقع بالسوق الرومانية الأثرية، كان آخر استخدام له مخزن لتحزين القطع الأثرية المستخرجة من الحفائر من المنطقة الأثرية المحيطة به، والجامع تم ترميمه حديثًا.

الجامع الثاني هو جامع تزيسداراكيس، أنشأه مصطفى أغا تزيسداراكيس والي مدينة أثينا سنة 1177هـ/ 1763–1764م كما هو مثبت بالنقش التأسيسي أعلى المدخل، يقع حالياً في ميدان موناستيراكي أمام محطة المترو التي تحمل نفس اسم الميدان، وهو مستخدم كمتحف شعبي، وحالته أفضل الآثار العثمانية بصفة عامة وهو مفتوح للزيارة، ولا يزال يحتفظ بمحرابه وكتاباته ونقوشه من الداخل والنقش التأسيسي أعلى المدخل.

بالإضافة إلى الجامعين سالفي الذكر توجد أجزاء باقية من مدرسة مدرسة عثمان أفندي الروزنامجي[22] (1133هـ/1720–1721م) تشمل كتلة المدخل والنص التأسيسي وبعض العناصر المعمارية، وهي بالقرب من جامع الفاتح سابق الذكر.

وعلى مسافة غير بعيدة يوجد الحمام العثماني الوحيد الباقي، وهو حمام عبيد أفندي (قبل

---

[20] للمقارنة بين ما كان قائماً وما تبقى أنظر: Ameen, The Ottoman architecture in Greece then and now.

[21] عن جامع الفاتحية أنظر:

Kiel, «The Quatrefoil Plan in Ottoman Architecture», 109-122 ; Ameen, *Islamic Architecture in Greece*.

[22] أمين، المدارس الوقفية في اليونان، 576-578.

1667م) وقد ذكره أوليا، ويعرف أيضًا باسم حمام الرياح لقربه من برج الرياح الشهير، والحمام مرمم وبحالة ممتازة ومفتوح للزيارة.

ولا يزال بيت القاضي العثماني لمدينة أثينا موجود حتى الآن، ولكن في حاجة ماسة للترميم، ولا يتيسر زيارته.

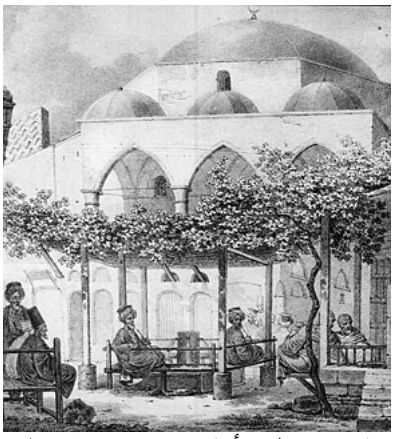

جامع مصطفى أغا تزيسداراكيس لا يزال قائما في ميدان موناستيراكي أمام محطة المترو، وهو مستخدم كمتحف

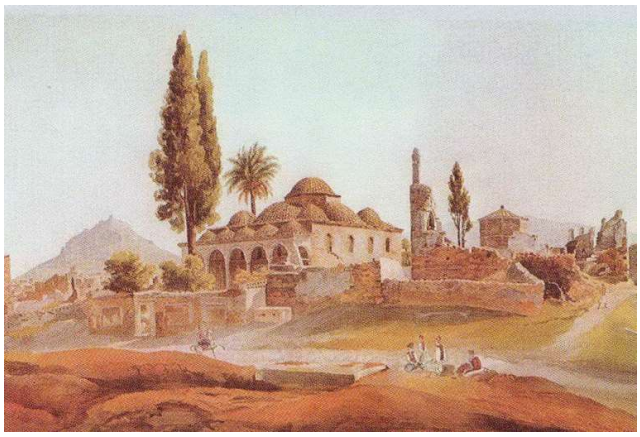

جامع الفاتح (أو الفاتحية) لا يزال قائما بالسوق الرومانية الأثرية، في المدينة القديمة

لوحة لـ Moncel (1845) يظهر بها مدرسة محمد فخري (الحاج محمد 1133هـ/1720–1721م) لم يتبق منها سوى كتلة المدخل وبعض الأجزاء الصغيرة والأطلال.

والبقايا الأخيرة للآثار العثمانية بأثينا تتمثل في أساسات جامع معروف باسم الجامع الصغير،[23] والتي توجد بالقرب من الآثار السابقة وأقرب إلى جامع الفاتح. جزء من جدار يعود لجامع كيفسيا،[24] وقد ذكره أوليا. وجشمة ماء علي خاصكي 1774– 1796، والموجودة حاليًا بجامعة أثينا الزراعية.[25]

[23] Ameen, "The Küçük Cami of Athens", 73-97.

[24] Παπανικολάου-Κρίστευσεν, *Αθήνα 1818-1853, Έργα Δανών καλλιτεχνών*, p. 111, Pl. 139 ; Bendtsen, *Sketches and Measuring,* p. 137, Pl. 111 ; Πάλλης, «Τα οθωμανικά μνημεία της Κηφισιάς», 229-240.

[25] عن هذه الجشمة والآثار المرتبطة بها انظر: Ορλάνδος, «Μεσαιωνικά μνημεία της πεδιάδος των Αθηνών», 227.

قائمة المصادر والمراجع

1. أمين (أحمد) – موسى (شاكر)، *أثينا العثمانية كما رآها الرحالة إيفليا جلبي*، شركة ألكسندرينا للتسويق والتوزيع، القاهرة، 2016.
2. أمين (أحمد)، "المدارس الوقفية في اليونان خلال العصر العثماني "دراسة آثارية وثائقية ومعمارية"، مجلة العمارة والفنون، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، المجلد 6 العدد 25، يناير 2021م، القاهرة 2021، 566-597.
3. *الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة*، تصنيف الرحالة العثماني أوليا چلبي (إشراف وتقديم: محمد حرب، نقلها إلى العربية: حسين مجيب المصري وآخرون، راجعها وأكمل مواقفها: ماجدة خلوف، نشر دار الآفاق العربية، القاهرة، 2006م).
4. فريد بك (محمد)، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، تحقيق: الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، الطبعة العاشرة، 2006م.
5. قارصلي (إلياس)، *المعجم الأساسي عربي – تركي*، استانبول، منشورات لوقف كلية الالهيات بجامعة مرمرة الرقم 71، الطبعة الثالثة المنقحة، 2004.
6. المغلوب (سامي)، *أطلس تاريخ الدولة العثمانية*، الكويت، مكتبة الامام الذهبي، 2014م.

7. Ameen (A.), "The Küçük Cami of Athens: Some considerations in the light of the Travelers' works", *Turcica* 47, 2016, Paris, 73-97.
8. Ameen (A.), “The Ottoman architecture in Greece then and now: Quantitative approach,” *SHEDET,* 6 (2019), 93-115. Doi.10.36816/shedet.006.06.
9. Ameen (A.), “The Ottoman bedestens in Greece,” *SHEDET,* 7 (2020), 115-144, DOI: 10.36816/SHEDET.2020.32863.1021
10. Ameen (A.), “The significance of the Qur’anic quotation ‘Mā shā' Allāh’ on both Ottoman and Greek heritages in the Balkans,” *EJARS* Vol. 10 (1), June 2020, 73-85. DOI: 10.21608/EJARS.2020.98963.
11. Ameen (A.), “Travelers' Works As An Important Source In Studying Archaeology In Light Of The “*Hadji ‘Ali* Mosque” Of Athens, *SHEDET,* 2 (2015), 6-22. DOI:10.36816/SHEDET.002.10.
12. Ameen (A.), *Islamic Architecture in Greece: The Mosques*, Alexandria: Bilbliotheca Alexandrina, Center for Islamic Civilization studies, Alexandria 2017.
13. Bendtsen (Margaret), *Sketches and Measuring, Danish Architects in Greece, 1818-1862*, Copenhagen 1993.
14. Evliyâ # 1: Evliyâ Çelebi, Seyahatnâme, Book 8, Autograph copy, Bagdat Köşkü.
15. Evliyâ # 2: Evliyâ Çelebi, Seyahatnâmesi, İstanbul, Orhaniye Matbaasi, 1928, vol. 8.
16. Evliyâ # 3: Evliyâ Çelebi (bin Derviş Mehemmed Zilli): Evliyâ Çelebi Seyahatnâmesi VIII. Kitap, [Topkapı Sarayı Kütüphanesi Bağdat 308 Numaralı Yazmanın Transkripsiyonu – Dizini], Edited by Seyit Ali Kahraman, Yücel Dağlı, Robert Dankoff, İstanbul, Yapı Kredi Yayınları, 2003.
17. Evliyâ # 4: Μπίρη (K.), Τα Αττικά του Εβλιά Τσελεμπί. Αι Αθήναι και τα περίχωρά των κατά τον 17 αιώνα, Αθήνα, 1959.
18. Evliyâ # 5: Χειλαδάκης (N), Εβλιά Τσελεμπί: Ταξίδι στην Ελλάδα, Αθήνα, 1991.
19. Hobhouse (Broughton, John Cam, Baron), A journey through Albania, and other provinces of Turkey in Europe and Asia, to Constantinople, during the years 1809-1810, London, printed for J. Cawthorn, 1813.
20. Kiel (M.), « The Quatrefoil Plan in Ottoman Architecture Reconsidered in Light of the "Fethiye Mosque" of Athens», Muqarnas 19 (2002), pp. 109-122.

21. Kuran (A.), «A Spatial Study of Three Ottoman Captials: Bursa, Edirne, and Istanbul»,Muqarnas XIII (1996), pp. 114-131.

22. Mordtmann (J. H.), «EWLIYĀ ČELEBI»,Encyclopedia of Islam,Vol. II (Leiden, New ed. 1991), pp. 717-720,

23. Setton (K. M.), "On the raids of the Moslems in the Aegaean in the ninth and tenth centuries and their alleged occupation of Athens", American Journal of Archaeology, vol. LVIII (1954), 311-9.

24. Soteriou (G.), "Arabic remains in Athens in Byzantine times", in: Praktika (Proceedings) of the Academy of Athens, IV (Athens 1929) .

25. Spon (Jacob), Voyage d'Italie, de Dalmatie, de Grèce, et du Levant : fait aux années 1675 et 1676, Lyon, Antoine Cellier, 1678, 3 vols ; Wlheler (George, Sir), A journey into Greece, London, W. Cademan, 1682.

26. Γιαννόπουλος (Ιω. Γ.), Η περιήγησις τους Εβλιά Τσελεμπή ανά την Στερεάν Ελλάδα, Αθήναι 1969.

27. Δημητριάδης (Β.), Η Κεντρική και Δυτική Μακεδονία κατά τον Εβλιγιά Τσελμπή, Θεσσαλονίκη 1973.

28. Καμπούρογλου (Δημήτριος Γρ.), Η Άλωσις των Αθηνών υπό των Σαρακηνών, Αθήνα, Δημητράκος 1934.

29. Μοσχοπούλος (Ν.), «Η Ελλάς κατά τον Εβλιά Τσελεμπή: Μια τουρκική περιγραφή της Ελλάδος κατά τον ΙΖ αιώνα, Μετάφρασις και έλεγχος του "Οδοιπορικού" (σεγιαχατναμέ) του Τούρκου περιηγητού μετά παρατηρήσεων», ΕΕΒΣ 15 (1939), 145-181.

30. Μπίρη (Κ.), «Τα Αττικά του Εβλιά Τσελεμπί», διασκευή – αναμόρφωση – σχόλια, Αθηνϊκά (6-7), (1957).

31. Ξυγγοπούλου (Α.), "Παρθενώνος Βυζαντιναί τοιχογραφίαι", Αρχαιολ. Εφημ. 1920, p. 46.

32. Ορλάνδος (Α.), «Μεσαιωνικά μνημεία της πεδιάδος των Αθηνών και των κλιτύων Υμηττού-Πεντελικού-Πάρνθος και Αιγάλεω», στο: Ευρετήριον Μεσαιωνικών Μνημείων της Ελλάδος, τχ. Γ', Αθήναι, 1933.

33. Πάλλης (Γιώργος), «Τα οθωμανικά μνημεία της Κηφισιάς», *ΑΑΑ* 39 (2006) [Αθήνα 2007], 229-240.

34. Παπανικολάου-Κρίστευσεν (Αριστέα), *Αθήνα 1818-1853, Έργα Δανών καλλιτεχνών*, Αθήνα 1985.

35. Σπαθάρης (Ι.), «Η Δυτική Θράκη κατά τον Εβλιγιά Τσελεμπήν, περιηγητήν του XVII αιώνος», ΘΧ 4 (1933), 113-128.

36. Σπαθάρης (Ι.), «Η Δυτική Θράκη κατά τον Εβλιγιά Τσελεμπήν, Περιηγητήν του XVII αιώνος», ΘΧ 5 (1934), 179-217.

37. Τζώρτζογλου (Δ.), «Τα περί Αθηνών κεφάλαια του Εβλιά Τσελεμπή», Ελληνικά4, (1931).